العراقية
المجلات الاكاديمية العلمية
IRAQI Academic Scientific Journals
Al-Itqan Journal of Humanities
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/575
ISSN: 3105-1073 (OnIne)
المجلة معتمدة بالترقيات العلمية حسب كتاب وزارة التعليم العراقية (46404-1410) في 2026/4/27

أخبار تيمورلنك عند ابن خلدون

المدرس المساعد خالد غياض سرحان مساعد

News of Timur as reported by Ibn Khaldun

gmail.com- Khaldghyadsrhan

ملخص البحث:

التقى المؤرخ ابن خلدون بالفاتح (تيمورلنك) سنة ١٤٠١م، إبان حصار مدينة دمشق ، وكان هذا بطلب من تيمورلنك نفسه الذي أراد مناقشته . حيث عامل تيمورلنك أبن خلدون معاملة خاصة يعمها الاحترام اذ استقبله استقبالا جميل وأجلسه إلى جنبه وقربه منه وتم تكريمه طيلة مدة إقامته بالمعسكر ونتيجة لهذه العلاقة خلص ابن خلدون نفسه من القتل والسبي فخرج من دمشق سالماً إلى القاهرة بعد انقضاء تلك الأحداث. خلال المقابلة، وصف المؤرخ ابن خلدون تيمورلنك بأنه "ملك عظيم وجبار، مولع بالمناظرة والجدال فيما يعرفه وما يجهله" . دارت بينهما نقاشات موسعة استمرت ٣٥ يومًا، تضمنت مواضيع متنوعة منها تاريخ المغرب العربي، والدولة العباسية ، والأبطال السابقين . كما حاول تيمورلنك جذب ابن خلدون للعمل في بلاطه، لكن ابن خلدون اعتذر ورغم جهود ابن خلدون، لكنه لم ينقذ مدينة دمشق من تيمورلنك فكان قد قرر مصيرها قبل اللقاء وبعد المفاوضات رفع تيمورلنك الحصار وأمر جيشه باقتحام مدينة دمشق ، فحدثت مجزرة رهيبة وأحرق الجامع الأموي وفشلت المفاوضات في منع نهب مدينة دمشق، اذ لم يحم الوعد مدينة دمشق من الخراب والدمار، مما جعل بعض من المؤرخين يتهمونه بالسذاجة والتواطؤ.

Research Abstract:

In 1401 CE, during the siege of Damascus, the historian Ibn Khaldun met the conqueror Timur (Tamerlane) at the latter's personal request, as Timur sought to engage him in discussion. Timur treated Ibn Khaldun with exceptional respect, receiving him warmly, seating him at his side, and honoring him throughout his stay in the camp. Due to this relationship, Ibn Khaldun was spared from death or captivity, leaving Damascus safely for Cairo after the events concluded.During their meeting, Ibn Khaldun described Timur as "a great and mighty king, fond of debate and argumentation regarding what he knew and what he did not know." Their extensive discussions lasted 35 days, covering topics such as the history of the Maghreb, the Abbasid Caliphate, and past heroes. Timur attempted to recruit Ibn Khaldun to his court, but Ibn Khaldun declined.Despite Ibn Khaldun's efforts, he could not save Damascus from Timur, as Timur had already decided its fate before the meeting. After negotiations, Timur lifted the siege and ordered his army to storm the city, resulting in a horrific massacre and the burning of the Umayyad Mosque. The negotiations failed to prevent the sack of Damascus, as promises did not shield the city from destruction. Consequently, some historians have accused Ibn Khaldun of naivety or complicity.

المقدمة:

مشكلة البحث: يقدم لنا هذا البحث نموذجا لتفاعل ما بين المثقف مع سلطة مستبدة في لحظة ازمة. حيث تختلف الروايات التاريخية عن تفاصيل هذا المقابلة ودوافعها ونتائجها اذ تستدعي دراسة مقارنة نقدية. تكمن اهمية البحث كونه اختبار عملياً لنظرية ابن خلدون ما بين العصبية وصراع ما بين الحضارة والبداوة ، استعمل ابن خلدون المعرفة من اجل التفاوض كعملة في زمن الحرب.هنا يكمن دور الفعلي للمثقف الذي وازن بين المبادئ الاخلاقية والواقعية السياسية

الإطار النظري والخلفية التاريخية .

حول ابن خلدون: يتبع مسيرته التاريخية من المغرب الى المشرق الى إن وصل الى منصبه كقاضي المالكية في مصر والتي كانت تحت حكم دولة المماليك مستفيداً من خبرته السياسية ورؤيته الواسعة.حول تيمورلنك: عرض لحملاته العسكرية والتي قيل انها وصلت إلى بلاد الشام والصور التي تصف تيمورلنك بـ (السفاح) .وتم التطرق لأوضاع مدينة دمشق أثناء محاصرة تيمورلنك لها عام ٨٠٣هـ/ ١٤٠١م والانسحاب والتراجع للجيش المملوكي منها وترك دمشق ومندوبي السلطان وابن خلدون بموقف صعب مصادر البحث الرئيسية منها التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً والتي تتحدث عن سيرة ابن خلدون الذاتية ومنها كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فيه دون ابن خلدون تأريخه وقام بأرسال نسخة منه للسلطان المريني وصف فيها اوضاع دمشق وهناك مصادر تاريخية أخرى معاصرة نذكر منها ابن عربشاه في كتابه عجائب المقدور في نوائب تيمور حيث يقدم صورة سلبية جدا عن تيمورلنك وينتقد فيها اتفاق الأمان الذي حصل عليه ابن خلدون. ومن المصادر الاخرى كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي والذي يسجل فيه احداث الحصار ونتائجه.

التمهيد:

تظهر أخبار المؤرخ ابن خلدون عن تيمورلنك اختلافاً صارخاً في الصورة. فهو يصف من ناحية الدمار والوحشية التي رافقت هجمات هذا القائد، حيث يذكر كيف أنه ملأ الدنيا وأوقع خراباً هائلاً في مدينة دمشق حيث أحرق ودمر المسجد الأموي الكبير ونهب المدينة وقتل الكثير من الأهالي بعد أن حصلوا على وعود بالأمان منه ومن ناحية أخرى يصفه ابن خلدون كشخصية معقدة، فهو محب للعلم والعلماء ويحب الحديث معهم، مستفسراً بشغف عن أحوال وأوضاع بلاد المغرب العربية، اذ طلب من ابن خلدون نفسه بكتابة تقرير مفصل عن هذه البلاد وكأنه يخطط لضمها إلى مملكته في المستقبل.وتكتسب رواية ابن خلدون أهمية كبيرة لأنها تمثل شاهد عيان من أعظم مفكري ذلك العصر على واحدة من أكثر الفترات اضطراباً ودموية في تاريخ الشرق الأوسط. حيث وجد ابن خلدون نفسه بقلب الحدث حين تقطعت به السبل داخل مدينة دمشق المحاصرة بعد أن انسحب الجيش المملوكي المفاجئ منها بقيادة السلطان الناصر فرج ، مما اضطره إلى النزول من على السور من اجل التفاوض مع الفاتح المغولي طالباً الأمان.إن دراسة "أخبار تيمورلنك عند ابن خلدون" تفتح لنا نوافذ متعددة على:

١ـ السيرة الذاتية لابن خلدون: حيث تبين لنا براغماتية الرجل وقدرته على التكيف من أجل البقاء، بل واستغل الموقف لخدمة مصلحته الشخصية والعلمية

٢ـ شخصية تيمورلنك: حيث يقدم صورة عن عقلية هذا الغازي، فهو لم يكن مجرد همجي وبربري، بل كان قائداً داهية يستعمل العلم والمعرفة من أجل خدمة مشروعه التوسعي

٣ـ مأساة مدينة دمشق: حيث تروي تفاصيل دقيقة عن سقوط المدينة العريقة وكيف تبدلت آمال الأمان التي دونها ابن خلدون إلى كابوس من الدمار والنهب والحرق.

في هذا البحث، سنسعى من أجل تقصي هذه الأخبار بالتعويل على رواية ابن خلدون نفسه في المقام الأول، مسنودة بمصادر تاريخية أخرى معاصرة للحدث كتلك التي كتبها ابن عربشاه والمقريزي لنحلل أبعاد هذا الاجتماع ونفهم دلالاته العميقة التي ما زالت تثير الجدل إلى يومناً هذا

المحاور التحليلية الرئيسية للبحث

المحور الاول: رواية ابن خلدون للقاء ـ دوافعه وتكتيكاته .

في اوائل سنة ٨٠٣هـ جاءت الاخبار أن تيمورلنك المغولي قد هجم بجيش كبير على بلاد الشام. (ابن خلدون، بدون سنة نشر، ج١/ص٩٦؛ د. علي عبدالواحد وافي، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م ،ص٩٩؛الزركلي، ١٩٨٠، ج٥/ ص١٤٠ ؛ د. زينب الخضيري، بدون سنة نشر، ص٢٢.). حيث أخرب البلاد وأهلك العباد. (السيوطي، ١٤٣٤ـ ٢٠١٣م ، ص٧٥٨؛ العصامي، بدون سنة نشر ،ج٢/ ص). وارتكب تيمورلنك مجازر ومذابح مروعة في حماة وحلب وبقيت المدن يروم بذلك ان يثأر للهزيمة التي وقعت بأجداده بمعركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ. (المقريزي، بدون سنة نشر ، ج٤/ ص٦٩٢. ٦٩٣؛ ضياء الدين رجب، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م ، ص٢٢). وواصل تيمورلنك زحفه نحو دمشق وارسل الى نائبها يدعوه بها الى الاستسلام فاضطرب السكان خصوصاً عند سماعهم قصص التعذيب والتنكيل التي نشرها الهاربون من المناطق التي سيطر عليها تيمورلنك. (العصامي، بدون سنة نشر ،ج٢/ ص٢٩٦ ؛احمد عبد الكريم، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ، ص٣٢). وكان الضعف يدب في أوصال الامة الاسلامية بالقرن السادس والسابع من الهجرة نتيجة الصراع السياسي بين الأمراء والصراع المذهبي وتراجع وضعف روح الجهاد والقتال في النفوس . (ضياء الدين رجب، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م ، ص١٤ ؛ مفتاح ، ٢٠١١، ص١٩؛ د. محمد عابد الجابري ، ١٩٩٢م، ص٢٠). ففزعت مصر لهذه الأخبار .(محمد عبدالله عنان،١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٣م ، ص٨٠؛ ضياء الدين رجب، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م ، ص٢٢). وكانت الشام في هذه الفترة تابعة لسلطان

المماليك في مصر فارتعب الناصر عند سماعه لهذا الخبر واخذ جيشه من اجل صد الهجوم وأخذ معه ابن خلدون وكان معزولا من منصب القضاء في ذلك الوقت. (ابن خلدون، بدون سنة نشر ، ج١/ ص٩٦؛ د. علي عبدالواحد وافي، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م ،ص٩٩؛ والتر ج . فيشل ، بدون سنة نشر ، ص٦٩ ؛ محمد العبدة ، ٢٠٠٩، ص٤٢ ؛ مصلح ، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩، ص٢١٣.). فاستدعاني دواداره يشبك وطلب مني السفر الى جانب السلطان فاعتذرت من ذلك لكن اظهر العزم علي ولين القول وذكر الانعام فوافقت وسافرت معهم. (ابن خلدون، بدون سنة نشر ، ج٧/ ص٧٢٨). واخذ معه القضاة الاربع والفقهاء والصوفية ومن ضمنهم ابن خلدون . (محمد عبدالله عنان، ١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٣م ، ص٨٠). الذي سافر مع معسكر السلطان الناصر فرج لقتال تيمورلنك . (الطهطاوي، بدون سنة نشر ، ص٨٦؛ البان سركيس، ١٤١٠،ج١/ ص٩٦؛ عمر كحالة، بدون سنة نشر ، ج٨/ ص١٩٢). في منتصف شهر المولد الكريم في سنة ثلاث وثمانمائة، حيث وصلنا إلى غزة، فأرحنا بها عدة أياما نترقب الأخبار ثم وصلنا لبلاد الشام مسابقين الططر إلى أن وصلنا شقحب وأسرينا فصبحنا بالقرب دمشق، والأمير تمر في معسكره ارتحل من بعلبك قاصداً مدينة دمشق فضرب السلطان خيامه بساحة قبة يلبغا حيث اشتبك العسكران في هذه الايام ثلاث او اربع مرات فكانت حربهم سجالاً. (ابن خلدون، بدون سنة نشر ، ج٧/ص٧٢٨ ؛ العصيمي ، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م، ص١١٤.). ثبت فيها المصريون واسفرت المعارك الاولى عن هزيمة تيمورلنك. (ابن خلدون، بدون سنة نشر ، ج١/ ص٩٦. والتر ج . فيشل ، بدون سنة نشر ،ص٧٠؛ منصور عبد الحكيم ، بدون سنة نشر ، ص١٧٤). واشتبك الجيشان التيموري والمملوكي ثلاث مرات لكن دون نتيجة حاسمة.(د. حسين عاصي، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م ، ص١٧). وذكر أن تيمورلنك قام بنصب كمينا لقوات الناصر فرج أدى إلى مقتل عدد كبير منهم، استخدم تيمورلنك فيها اسلوب الدهاء والشائعات من اجل التمويه على قوات الناصر فرج واستخدم تيمورلنك جواسيسه ايضا من اختلاف الذي حصل بين الأمراء المماليك وبين السلطان الناصر فرج فأراد توسعت ذلك الخلاف.(احمد عبد الكريم، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ، ص٣٢؛ د. علي عبدالواحد وافي، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م ،ص٩٩). ثم بدأت مفاوضات الصلح بين الطرفين ولكن حدث خلاف داخل معسكر الناصر وترك بعض الأمراء الناصر فرج وغادروا الى مصر خفية وعلم السلطان أن هناك مؤامرة لخلعه فترك دمشق لمصيرها ورجع الى القاهرة.(ابن خلدون، بدون سنة نشر ، ج١/ ص٩٦؛ محمد عبدالله ، ١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٣م ، ص٨١). في سنة ٨٠٣هـ بدون قيادة تنظم امورها وقوات تدافع عنها ... وواجه أهالي مدينة دمشق بعد مغادرة الناصر وقواته عنها موقفا حرجاً فغلقوا أبواب المدينة وتسلقوا اسوارها واخذوا ينادون بالجهاد بل ونجحوا في بعض الاحيان من صد لقوات تيمورلنك، عليها فأدرك تيمورلنك ان اعمال الحيلة هي أجدى له من أجل السيطرة والاستيلاء على المدينة من شروع اقتحامها فقد كان هدف دخول دمشق بأقل الخسائر الممكنة ومن اجل هذا أرسل تيمورلنك شخصين من اتباعه يقترحان على سكان مدينة دمشق اتفاق الصلح وبعد مناقشات وخلافات قبل هؤلاء على بعث القاضي ابن مفلح الحنبلي الى الأمير تيمورلنك من اجل التفاوض على شروط التسليم اذ استعمل تيمورلنك اسلوب ومنهج الخداع مع القاضي ابن مفلح الحنبلي حيث وعده بالانسحاب بعد إعطاء سكان مدينة دمشق (الطقزات). (ابن مفلح الحنبلي : قاضي القضاة تقي الدين بن العلامة شمس الدين الحنبلي الدمشقي قاضي قضاة الحنابلة بدمشق كان إماما فقيها، عالما فاضلا : ابن تغري بردي، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م ، ج١/ ص ٣٠ ؛ احمد عبد الكريم، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ، ص٣٤). وعلى اثر ذلك وقع خلاف بين الرؤساء والقادة حول تسليم دمشق وهنا تخط المؤرخ نزعة المجازفة كما تغلبه الأثرة حيث خشى على نفسه من وقوع المدينة بيد الفاتح ويكون نصيبه النكال او الموت ورأى ان يلتجئ بالجرأة ويغادر جماعة المترددين ويذهب الى معسكر الفاتح من اجل الحصول على الأمان لنفسه ومصيره فيقولها المؤرخ بصراحة معلقا على ما حدث بين القادة من خلاف "وبلغني الخبر فخشيت البادرة على نفسي، وبكرت سحرا الى جماعة القضاة عند الباب وطلبت الخروج أو التدلي من السور لما حدث عندي من توهمات ذلك الخبر". (ابن خلدون، بدون سنة نشر، ص٤٠٩؛محمد عبدالله عنان، ١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٣م ، ص٨١-٨٢؛ حسين عبدالله بانبيله، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م ، ص٥٢؛ والتر ج . فيشل ، بدون سنة نشر ، ص٧١؛ أكرم حسن العلبى ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ، ص١٦٣).

المحور الثاني: صورة تيمورلنك في عيون ابن خلدون ـ بين الإعجاب والتقييم.

يقول ابن خلدون: وجاءني القضاة والفقهاء واجتمعوا بمدرسة العادلية وأجمع رأيهم على طلب الأمان من (تيمورلنك) على بيوتهم وحرمهم واستشاروا في ذلك نائب القلعة فرفض عليهم ذلك الطلب ونكره فلم يوافقوا. (ابن خلدون، بدون سنة نشر ، ج١/ ص٩٦؛ المصدر نفسه ، بدون سنة نشر ، ص٤٠٧- ٤٠٨؛ د. علي عبدالواحد وافي، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م ،ص٩٩؛ حسين عبدالله بانبيله، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م ، ص٥٢). فخرج القاضي برهان الدين وكان معه شيخ القراء فطلب منهم تيمورلنك إحضار الوجوه والقضاة من اجل ان يكتب لهم الأمان. (ابن خلدون، بدون سنة نشر ، ج١/ ص٩٦؛ المقريزي، بدون سنة نشر ، ج٤/ ص٦٩٢. ٦٩٣). ويؤيد هذه الرواية ابن إياس هو مؤرخ مصري آخر، فيقول لنا إن الزعماء اختاروا القاضي ابن مفلح للتفاوض لأنه كان يعرف التركية.(محمد عبدالله عنان، ١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٣م ، ص٨٤). وأخبرني القاضي برهان الدين أن

تيمورلنك سأله عني هل أقام بالمدينة او سافر مع عساكر مصر، فأخبره بمقامي بالمدرسة وبتنا في هذه الليلة على أهبة الذهاب اليه فوقع تشاجر بين بعض الناس في المسجد الجامع.(ابن خلدون، بدون سنة نشر، ص٢٨٨؛المصدر نفسه، بدون سنة نشر ،ج١/ ص٩٧؛ د. علي عبد الواحد وافي، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م ،ص٩٩ ؛ روبرت ارون ،٢٠٢٢ ، ص١١٤.). وكان ابن خلدون من اعلام الاعيان الذي قدم مع السلطان وعندما انقتل السلطان انفرك وكأنه كان غافلا وكان ابن خلدون نازلا بالمدرسة العادلية فذهب هؤلاء الاعيان إليه من اجل تدبير هذه القضية فوافق ابن خلدون فكرتهم فملكوه بذلك أمرهم وما كان بوسعهم إلا استصحابه وكان ابن خلدون أصمعي الرواية والمخبر مالكي المذهب والمنظر فذهب معهم بعمامة خفيفة وشكل ظريف رقيق الحاشية وبرنس كهو اشبه بدامس الليل الناشية فحضروا بين يديهم واقتنعوا بأقواله وافعاله عليهم. (ابن عربشاه، ٢٠٠٨ ، ص١٤٠؛ ابن خلدون، بدون سنة نشر ، ج٧/ ص٧٣١).عندما اجتمع في المدينة الاعيان والكبراء والرؤساء وهم كل من قاضي القضاة شهاب الدين وقاضي القضاة محيي الدين محمود وقاض القضاة شمس الدين محمد الحنبلي وقاض القضاة تقي الدين ابراهيم بن مفلح الحنبلي والقاضي جمال الدين الآثاري الشافعي والشيخ ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي المغربي المالكي صاحب التاريخ المعروف، هؤلاء الاعيان خرجوا وطلبوا من تيمورلنك الأمان بعد ان نظمت كلمتهم وتشاوروا في سلك الوفاق فتلقاهم تيمورلنك بالإكرام وأجلسهم بين يديه ووافق على بعض ما طلبوا منه ووعدهم بالأمان.(ابن عربشاه، ٢٠٠٨،ص١٤٠؛ابن تغري بردي،٢٠٠٥م ،ج١٢/ ص٢٠٧؛ المقريزي، بدون سنة نشر ، ج٤/ ص٦٩٢. ٦٩٣؛ ابن حجر العسقلاني، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ، ج٣/ ٣٢٦؛ د. علي عبدالواحد وافي ، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م ،ص٩٩). وفي هذا الوقت كان تيمورلنك بمعسكره خارج المدينة فالتقى به ابن خلدون وقام معه حوارات في الكثير من المواضيع الدينية والتاريخية وتوسط ابن خلدون عند تيمورلنك في بعض امور مدينة دمشق فوافق تيمورلنك على طلبه.(احمد عبد الكريم، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، ص٣٤). واتفقوا مع تيمورلنك على فتح مدينة دمشق من الغد وتصرف الناس بالمعاملات، ويدخل أمير ينزل محل الامارة منها، فيملك أمرهم بعز ولايته.(ابن خلدون، بدون سنة نشر ، ص٤٠٨). دامت المفاوضات أربعين يوماً. (ضياء الدين رجب، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م ، ص٢٢). ويقول ابن خلدون كنت في تلك الليلة على اهبة الاستعداد من اجل الخروج إليه فوقع شجار بين بعض الناس في المسجد الجامع ،انكر البعض منهم ما وقع وبلغني الخبر في جوف الليل فخفت البادرة على روحي وبكرت سحرا لجماعة القضاء عند البوابة وطلبت الخروج والتدلي من السور فأبوا علي أولا ومن ثم وافقوا لي ودلوني من السور فوجدت حاشيته عند الباب ونائبه شاه ملك الذي تم تعينه لولاية دمشق.(ابن خلدون، بدون سنة نشر ، ص٢١٢١؛ المصدر نفسه ، بدون سنة نشر ، ص٤٠٩؛حسين عبدالله بانبيله، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م ، ص٥٢). وقدم لي شاه ملك وهو نائب الذي تم تعيينه على دمشق مركوبا(دابة اركبها) وارسل معي شخص من بطانة السلطان أوصلني اليه ولما وقفت بالباب وافق بإجلاسي في خيمة تجاور خيمة جلوس تيمورلنك ثم اخذ بالتعرف باسمي فقلت اني القاضي المالكي المغربي فدعاني فدخلت عليه بخيمته وكان متكئا على مرفقه وكانت صحاف الطعام تمر حوله وهو يشير بها الى عصب المغل الذين كانوا جالسين امام خيمته.(ابن خلدون، بدون سنة نشر، ص٢٨٩؛ المصدر نفسه ، بدون سنة نشر ، ج٧/ ص٧٣١). فلما دخلت عليه فاتحته بالسلام وأوميت بالخضوع لهُ فرفع رأسه وقام بمد يده إلي فقبلتها ثم أشار الي بالجلوس فجلست حيث انتهيت وقام باستدعاء بطانته الفقيه عبد الجبار بن النعمان وهو من فقهاء الحنفية بخوارزم فجلس يترجم ما يدور بيننا من حديث.(عبد الجبار بن النعمان المعتزلي، أحد خواص تيمور الذين طافوا معه البلاد، واهلكوا العباد، وأظهروا الظلم والفساد: ابن خلدون، بدون سنة نشر ، ص٢٨٩؛ العاملي، ١٤٢٦ ـ ٢٠٠٦م ، ص٢٨٢؛ د. علي عبدالواحد وافي، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م ،ص١٠٠؛ والتر ج . فيشل ، بدون سنة نشر ، ص٧٤؛ أكرم حسن العلبى ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ، ص١٦٣). وسألني من اين جئت، قلت لهُ من المغرب فقال ولما جئت ؟ قلت جئت من بلادي لقضاء الفرض فركبت إليها البحر ووصلت مرسى الاسكندرية في سنة أربع وثمانين من المائة الثامنة والمفرحات بأسوارها جلوس الظاهر على فراش الملك لتلك العشرة الأيام فقال لي وماذا فعل معك ؟ فقلت فعل معي كل الخير أنه بر مقدمي وزودني للحج وأرغد قراي وعندما رجعت وفر جرايتي ومكثت في ظله ونعمه، فقال: وكيف كان تولى ا اباك القضاة ؟ فقلت لهُ: مات قاض المالكية وقبل موته بشهر، اذ كان يظن بي المقام الحسن من اجل القيام بالوظيفة ونشرا العدالة والحق والإعراض عن العز والجاه، فجعلني مكانه ومات بعدها بشهر.(ابن خلدون، بدون سنة نشر ، ج٧/ ص٧٣١؛ محمد عبدالله عنان، ١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٣م ، ص٨١). وقال لي اين والدك فقلت لهُ بالمغرب الجواني يعمل كاتب للملك الأعظم هناك ثم قال وماذا يقصد الجواني في وصف بلاد المغرب فقلت لهُ هو تراث خطابهم ومعناه الداخلي ويقصد به الأبعد.(ابن خلدون، بدون سنة نشر ، ج٧/ ص٧٣١؛ والتر ج . فيشل ، بدون سنة نشر ،ص٧٤).لأن المغرب جميعه على ساحل البحر الشامي من جنوبه، والأقرب الى هنا برقة وافريقية اما المغرب الأوسط تلمسان وبلاد زناته، الأقصى يشمل فاس ومراكش، ويطلق عليه الجواني. فقال لي: واين تقع طنجة من ذلك المغرب ؟ فقلت لهُ: في الزاوية ما بين البحر المحيط، والخليج الذي يسمى بالزقاق هو خليج البحر الشامي ؟ فقال لي: وسبتة: فقلت لهُ: على مسافة من طنجة تقع على

ساحل الزقاق، ومنها الى الأندلس، لقرب المسافة، لأنها هناك على بعد نحو العشرين ميلا. ثم قال وفاس ؟ فقلت لهُ: أنها ليست على البحر وانما في وسط التلول، وهي كرسي ملوك بلاد المغرب من بني مرين. ثم قال وسجلماسة ؟ فقلت لهُ: تقع ما بين الأرياف والرمال وهي من جهة الجنوب. فقال لي: لا يقنعني هذا الكلام، وأفضل أن تكتب لي عن بلاد المغرب كلها، من اقاصيها وأدانيها وأنهاره وجباله وقراه وأمصاره، حتى كأني أتابعه فقلت لهُ يحصل ذلك بسعادتك فكتبت لهُ بعد خروجي من المجلس ما طلب من ذلك.(ابن خلدون، بدون سنة نشر ، ص٤١١). وأوعبت الغرض فيه في مختصر وجيز يكون قدر ثنتي عشرة من الكراريس المنصفة القطع" ولعل تيمورلنك كان يقصد بذلك غزو المغرب وأراد أن يقف بذلك على تفاصيل هذه البلاد ومواقعها الجغرافية. (ابن خلدون، بدون سنة نشر ، ج١/ ص٩٨.٩٧؛ ابن حجر العسقلاني، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ، ج٣/ ص٣٢٦؛ د. علي عبدالواحد وافي، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م ، ص٩٩؛ د. المصدر نفسه، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م ،ص١٠١)ونحن نرى ان الهدف واضحاً هو استغلال معرفة ابن خلدون الاستخبارية لخدمة مشروع وخطط تيمورلنك التوسعية في المستقبل نحو الغرب الإسلامي. اما في شأن مدينة دمشق فقد وقعت مفاوضات بين الفاتح والمؤرخ استطاع ابن خلدون أن يقنع الفقهاء الرؤساء بالتسليم حيث فتحت دمشق أبوابها على أثر تلك المفاوضات وجاء الرؤساء والقضاة ومن بينهم أبن خلدون إلى معسكر تيمورلنك من اجل تقديم الطاعة والخضوع لهُ ويقول ابن خلدون ان تيمورلنك صرف هؤلاء وابقاه هو ثم انصرف ابن خلدون واخذ يكتب رسالة بوصف بلاد المغرب حتى أكملها التي بلغت حوالي اثنتي عشرة كراسة، ثم قام بتقديمها إلى تيمورلنك فأمر بترجمتها وتحويلها إلى اللغة المغولية. (محمد عبدالله عنان، ١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٣م ، ص٨٣). ثم أشار الى الخدم بإحضار الطعام من بيته وكان يسمونه الرشتة فأحضرت الأواني وأشار بعرضها علي فقمت وتناولتها وشربت واستطبت وكان ذلك منه افضل المواقع ومن ثم جلسنا وسكتنا .(ابن خلدون، بدون سنة نشر ، ص٢٩٠). وبينما هم جالسين في حضرة الأمير تيمورلنك إذا بالقاضي صدر الدين المنادي أسير في أيديهم وكان قد اتبع السلطان في الهرب فتم القبض عليه وأحضروه بين يدي إذا يرتدي عمامة كالبرج، وأردان كالخرج فتجاوز الرقاب وجلس من غير رخصة فوق الصحاب فأستشاط تيمور غاضبا وجعل المجلس لهباً وتنفخ سحره وشجر غيظاً وشخر ونخر ثم أمر مجموعة من المعتدين بالتنكيل وتعذيب القاضي صدر الدين.(عبد الرحمن بدوي، ٢٠٠٦ ،ص٣٠٩؛ أكرم حسن العلبى ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ، ص١٦٤). ويظهر أن ابن خلدون قد عاوده وساوره الحنين الى السياسة فكان يعلق بصلته بتيمورلنك أمال اخرى غير الامور التي تخص دمشق وزملائه القضاة والعلماء وكان يرجو من ذلك الانتظام في بطانة الفاتح والتقرب لديه فأخذ يطنب في مدحه ذاكر لهُ انه كان يتشوق الى لقائه منذ فترة طويلة وكان يتنبأ لهُ بمستقبل بملك عظيم مستند على صحة تلك التنبؤات من خلال حقائق الاجتماع ومن أقوال المنجمين والمتنبئين بالغيب.(ابن خلدون، بدون سنة نشر ، ج١/ ص٩٨؛ محمد عبدالله عنان،١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٣م ، ص٨٥). ولعل ابن خلدون قد رأى سذاجة في تيمورلنك وحبا في المدح فأخذ ينفخ في شخصه بهذه التنبؤات ويحكي ابن خلدون ما قاله لتيمورلنك بدون ان يوضح بما دعاه إلى ذلك اذ يقول "ففاتحته وقلت لهُ ايدك الله، لي اليوم ثلاثون او أربعون سنة أتمنى لقاءك فقال لي الترجمان عبد الجبار: وما سبب ذلك؟ فقلت: أمران، الأول: أنك سلطان العالم، وملك الدنيا، وما اعتقد أنه ظهر في الخليقة منذ آدم لهذ العهد مثلك ولست ممن يقول في الأمور بالجزاف، فإني من أهل العلم ..." أما الأمر الثاني الذي حملني على لقائه هو ما سمعته من أهل الحدثان والأولياء بالمغرب وهؤلاء هم المنجمون والمتنبئين والملهمون بالغيب في حوادث العالم وكانوا في المغرب وذكر طائفة من هؤلاء أقوال تتنبئا لهُ بملك عظيم.(ابن خلدون، بدون سنة نشر ، ج١/ ص٩٨؛ المصدر نفسه ، بدون سنة نشر ، ص٤١٤؛ والتر ج . فيشل ، بدون سنة نشر ، ص٧٦؛ أكرم حسن العلبى ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ، ص١٦٤).وذكر بعض العلماء أنه عندما اقبل ابن خلدون على تيمورلنك قال لهُ ابن خلدون دعني اقبل يدك فقال لهُ تيمور ولم ؟ فقال لهُ: لأن مفاتيح الاقاليم يشير إلى فتح خمسة اقاليم واصابع يده هي خمسة فلكل اصبع إقليم هذا يدل ايضا على دهاء ابن خلدون.(التلمساني، ١٩٦٨، ج٢/ ص٥٢٣؛ العاملي،١٤٢٦ ـ ٢٠٠٦م ، ص٢٨٢).ثم قال ابن خلدون لتيمورلنك إني ألفت كتابا عن تاريخ العالم فقال لهُ تيمورلنك كيف ساغ لك أن تذكرني به وتذكر بختنصر مع أننا دمرنا العالم؟ فقال ابن خلدون أعمالكما العظيمة أضافتكما بالذكر مع ذوي المنازل الجسيمة فأعجبه ذلك. (التلمساني، ١٩٦٨، ج٢/ ص٥٢٣ ؛ العاملي، ١٤٢٦ ـ ٢٠٠٦م ، ص٢٨٢). وذكرت ما قصته من قبل. فقال لي: وألاحظك قد ذكرت بختنصر و كسرى، وقيصر، والإسكندر، ولم يكون في عدادهم، فأنهم ملوك أكابر. وبختنصر هو قائد من قواد الفرس، اما أنا نائب من نواب مالك التخت، وهو هذا، ولوح الى الصف القائمين خلفه، وكان وقفا معهم وهو ربيبه الذي اتضح لنا أنه تزوج من أمه بعد وفاة أبيه ساطلمش، وذكر لهُ القائمون في عند ذلك الصف أنه خرج منهم. فرجع إلي وقال: ومن أي المذاهب هو بختنصر، فقلت لهُ: بين الناس فيه اختلاف فقيل عنه من النمط وهم بقية ملوك بابل، وقيل عنه من الفرس الأولى، فقال لي: يعني من ولد منوشهر، فقلت نعم هكذا ذكروا، فقال لي: ومنوشهر لهُ علينا ولادة من قبل الأمهات. ثم أدت مع الترجمان في تفخيم هذا القول منه فقلت لهُ: وهذا هو الذي يجعلني على بني لقائه.(ابن خلدون، بدون سنة نشر ، ج٧/ ص٧٣٣؛ والتر ج . فيشل

، بدون سنة نشر ، ص٧٧). فقال لي الملك: واي القولين أفضل عندك فيه، فقلت لهُ أنه من ملوك بابل، فمضى هو الى ترجيح الرأي الآخر، فقلت له يعكر تملينا رأي الطبري، فهو مؤرخ الأمة ومحدثهم ولا أرجح غيره، فقال لي: وما علينا من الطبري، نأتي بكتب التاريخ للعرب والعجم ونناظر بعضنا. فقلت وأنا ايضا (ابن خلدون، بدون سنة نشر ، ج٧/ ص٧٣٣).سار تيمورلنك نحو مدينة دمشق، ونزل في تربة منجك بالقرب من باب الجابية، فقام هناك، ودخل عليه القضاة وأعيان البلد، ودخلت أنا معهم، فأشار اليهم بالذهاب، وطلب من نائبه شاه ملك أن يخلع عليهم وظائفهم، ثم أشار إلي بالجلوس فجلست بالقرب منه. ثم دعا أمراء دولته القائمين بأمر البناء فجلبوا عرفاء البنيان المهندسين، وتناقشوا في إذهاب الماء الدائر بحفرة القلعة، لعلهم يجدون بالصناعة على منفذه فتناقشوا في مجلسه فترة طويلة ثم انصرفوا وانصرفت أنا الى بيتي في داخل المدينة بعد أن طلبت الإذن في ذلك فأذن فيه (ابن خلدون، بدون سنة نشر ، ج٧/ ص٧٣٤). وكان أيام وجودي عند السلطان تمر جاء إليه رجل من القلعة يوم من أهلها من سلالات الخلفاء بمصر يعود إلى ذرية الحاكم العباسي الذي تم تنصيبه من قبل الظاهر بيبرس فجاء إلى السلطان تمر يطلب النصفة في أمره ويطلب ايضا منه منصب الخلافة كما كانت لأهله فقال لهُ السلطان تمر أنا أجلب لك الفقهاء والقضاة فإن قضوا لك بشيء أنصفتك فيه وقام باستدعاء الفقهاء والقضاة واستدعاني ايضا (ابن خلدون، بدون سنة نشر ، ج٧/ ص٧٣٤-٧٣٥؛ المصدر نفسه ، بدون سنة نشر ، ص٤١٧). فحضرنا عنده وأتى هذا الرجل الذي يطلب منصب الخلافة فقال لهُ الترجمان عبد الجبار هذا مجلس (النصفة) فتكلم فقال الرجل إن هذه الخلافة لنا ولأهلنا وإن الحديث صح بهذا الأمر لبني العباس ما أبقيت الدنيا يعني حال الخلافة وإني أحق بها من صاحب المنصب حاليا بمصر لأن آبائي الذين أورثتهم كانوا قد استحقوه وأصبح إلى هذا بغير مستند، فاستدعى الترجمان عبد الجبار جميعنا في أمره، فسكتنا لحظة، ثم قال لنا: ما تقولون في هذا الحديث ؟ فقال لهُ برهان الدين بن مفلح: أن هذا الحديث ليس صحيح واستدعى ما عندي في هذا فقلت لهُ: الأمر كما قلتم من أنه ليس صحيح، فقال السلطان تمر: ما الذي جعل الخلافة لبني العباس لهذا العهد في الإسلام (ابن خلدون، بدون سنة نشر ، ج٧/ ص٧٣٤-٧٣٥؛ المصدر نفسه ، بدون سنة نشر ، ص٤١٨). وشافهني بالقول، فقلت لهُ: أيدك الله. أختلف المسلمون بعد وفاة النبي (ص) ،هل يجب على المسلمين ولاية شخص منهم يقوم بحالهم في دينهم ودنياهم، او لا يجب ذلك ؟ حيث ذهبت طائفة على أنه لا يجب ذلك، ومنهم الخوارج، وذهبت جماعة إلى وجوبه فاختلفوا وتباينوا في مستند ذلك الوجوب، وذهب الشيعة جميعهم إلى حديث الوصية، وأن النبي (ص) قد أوصى بذلك لعلي، واختلفوا بتنقلها عنه إلى بعده إلى مذاهب عديدة تشذ عن الحصر. وأجمع أهل السنة على نكران هذه الوصية، وأن مستند الوجوب في هذا إنما هو الاجتهاد، يعنون بذلك أن المسلمين يجتهدون في انتخاب رجل من أهل الحق والعدل والفقه، يفوضون أمورهم إليه والنظر فيها (ابن خلدون، بدون سنة نشر ، ج٧/ ص٧٣٤-٧٣٥؛ المصدر نفسه ، بدون سنة نشر ، ص٤١٩). وعندما تعددت فرق العلوية وتحولت الوصية بزعمهم من بني الحنفية وتحولت الى بني العباس فقد أوصى بها "أبو هاشم بن محمد بن الحنفية إلى محمد بن علي بن عبدالله بن عباس" وبث دعاته في بلاد خراسان. فقام أبو مسلم بتلك الدعوة ؛ فملك خراسان والعراق وأخذ شيعتهم الكوفة، واختاروا لهذا الأمر أبا العباس السفاح وهو صاحب هذه الدعوة، ثم طلبوا أن تكون بيعته بأجماع من أهل الشيعة والسنة، فكتب كبار الأمة يومئذ، واصحاب الحل والعقد، بالعراق والحجاز، يشاورونهم في أمره، حيث وقع اختيارهم جميعهم على الرضي به، فبايع لهُ الشيعة بالكوفة بيعة إجماع. ثم عهد بها بعده إلى أخيه المنصور. وعهد بها المنصور بعده إلى بنيه، فلم تزال متناقلة فيهم أما بعهد او اختيار أصحاب العصر الى أن جاء المستعصم آخرهم ببغداد فلما استحوذ عليها هولاكو وقتله تفرق قرابته وذهب بعضهم إلى مصر وهو أحمد الحاكم من بعد الراشد فتم تنصيبه من قبل الظاهر بيبرس على مصر بموافقة اهل الحل والعقد من الفقهاء والجند وتحول الأمر في بيته الى ذلك الذي بمصر لا يعلم خلاف ذلك فقال لهُ تيمور: قد سمعت ما قاله لك القضاة، وأهل الفتيا، أذن ليس لك حق تطلبه مني فانصرف راشدا (ابن خلدون، بدون سنة نشر ، ج٧/ ص٧٣٤-٧٣٥؛ المصدر نفسه ، بدون سنة نشر ، ص٤١٩).لكن ابن خلدون لم يوفق في تحقيق ما يطمح لهُ من تيمورلنك اذ لم تمض أسابيع قليلة حتى كره البقاء في دمشق وطلب الأذن من تيمورلنك من اجل الرجوع إلى مصر فأذن لهُ (ابن خلدون، بدون سنة نشر ، ج١/ ص٩٨؛ د. علي عبدالواحد وافي، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م ،ص١٠٢؛ حسن عبدالله بانبيله، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م ، ص٥٢). فضلا عن فشل ابن خلدون في الوصول إلى يرجوه من تيمورلنك فإن رحلته هذه كانت مغرماً كبيراً لهً اذ تجشم إثنائها هديتين تم تقديمها الى تيمورلنك وعند عودته فقد جميع ما كان معه من متاع ومال اذ يصف ابن خلدون الهدية الأولى التي تم تقديمها الى تيمورلنك فيقول ابن خلدون كنت لما تدليت من السور كما مر سابقا أشار الى بعض الأصدقاء ممن يخبر احوالهم ولهُ معرفة بهم فأشاروا أن اقدم هدية لهُ وإن كانت نزرة فاخترت من سوق الكتب مصحفاً رائع وجميل وسجادة انيقة وايضا نسخة من قصيدة (البردة الشهيرة) للأبوصيري والتي كانت في مدح النبي (ص) وأربع علب حلاوة فاخرة من مصر (ابن خلدون، بدون سنة نشر ، ج١/ ص٩٩؛ المصدر نفسه، بدون سنة نشر ، ص٤٢١؛ ضياء الدين رجب، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م ، ص٢٢؛ د. علي عبدالواحد وافي ، ١٤٠٤هـ ـ

١٩٨٤م ،ص١٠٣). فدخلت عليه وهو جالس بالقصر الأبلق فلما رأني مقبل عليه فقام وأشار لي عن يمينه فجلست قليلا ومن ثم استدرت بين يديه ثم قدمت لهُ الهدية التي كان يحملها احد خدامي فوضعتها واستقبلني من ثم فتحت لهُ المصحف وعندما شاهده وعرفه قام ووضعه على رأسه وبعدها ناولته البردة فسألني عنها وعن منظمها فأخبرته عن أمرها ثم اعطيته السجادة فأخذها وقبلها ومن ثم قمت بوضع علب الحلوى بين يديه فتناولت منها حرفاً للتأنيس بذلك وأخذ تيمورلنك وقسم ما فيها من الحلوى على الحاضرين في مجلسه وتقبل هذا وأشعر بالرضى به. (ابن خلدون، بدون سنة نشر ، ج١/ ص٩٩؛ المصدر نفسه، بدون سنة نشر ، ص٤٢١- ٤٢٢؛ ضياء الدين رجب، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م ، ص٢٢). ثم حومت على الكلام بما كان عندي في شأن روحي، وشأن أصحاب كانوا لي هنالك. فقلت لهُ أيدك الله، لي كلام اود أذكره بين يديك فقال لي: قل. فقلت لهُ أنا غريب بهذه الأوطان غربتين واحدة هو وطني ومنشأي والأخرى من مصر بها أهل جيلي، وقد حصلت في ظلك وسلطانك وأنا أطلب رأيك لي بما يؤنسني في غربتي، فقال لي: قل الذي تريده أعمله لك، فقلت لهُ: حال الغربة أنستني ما أريده وعساك - أيدك الله - أن تقدم لي ما أريد فقال لي: انتقل من مدينة إلى الأردو عندي وأنا إن شاء الله أفي بما تطلبه. فقلت أمر لي بذلك نائبك (شاه ملك) فأشار إلى نائبه بإمضاء ذلك، فشكرته وقلت لهُ: بقيت لي أخرى فقال لي: وماهي. فقلت لهُ هؤلاء المخلفون عن السلطان. من الموقعين، والقراء والدواوين والعمال اصبحوا إلى إيالتك والملك لا ينسى مثل هؤلاء فنفوذكم كبير وعمالاتكم واسعة، وحاجة ملكك إلى المتصرفين في حواش الخدم أشد من حاجات غيركم، فقال لي وما تريده لهم قلت لهُ: مكتوب أمان لهم يستليمون إليه، ويعولون عليه في أحوالهم فقال لكاتبه: اكتب لهم أمان بذلك، فشكرته ودعوت لهُ وخرجت مع كاتبه حتى كتب لي ولهم مكتوب الأمان، وختمه (شاه ملك) بخاتم السلطان، ثم انصرفت إلى منزلي.(ابن خلدون، بدون سنة نشر ، ص٤٢٣). يصف ابن خلدون الهدية الثانية اذ يقول لما قرب سفره وقرر الرحيل من بلاد الشام دخلت عليه في احد الايام فلما قضينا من المعتاد التفت إلي وقال هل عندك بغلة هنا فقلت لهُ نعم قال حسنه فقلت نعم قال لي وتبيعها فأنا اشتريها منك فقلت لهُ أيدك الله يا أمير ؟ مثلي إنا لا يبيع من مثلك وإنما أنا اخدمك بها وبأشباهها لو كانت لي، فقال تيمورلنك إنما أردت ان أكافئك عليها بالإحسان فقلت لهُ وهل بقي إحسان بعد ما أحسنت به علي اصطنعتني واحللتني وقربتني من مجلسك موضع خواصك وقابلتني من الخير والكرامة بما أرجو الله ان يعطيك بمثله وسكت، وحملة البغلة وأنا في المجلس عنده ولم أرها بعد.(ابن خلدون، بدون سنة نشر ، ج١/ ص٩٦ ؛ المصدر نفسه، بدون سنة نشر ، ص٤٢٣ ؛ د. علي عبدالواحد وافي ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، ص١٠٣). وأرسل اليه تيمورلنك ثمنها فيما بعد، عقب وصول ابن خلدون إلى مصر.(محمد عبدالله عنان، ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م ، ص٨٠). ثم دخلت عليه في أحد الايام فقال لي: أتسافر إلى بلاد مصر، فقلت لهُ أيدك الله، رغبتي هي أنت وأنت قد كفلت وآويت، فان كان الرحيل إلى مصر يخدمك فنعم، وإلا فلا حاجة لي فيه، فقال لي: لا، بل تسافر إلى أهلك وعيالك، فاستدار إلى ابنه، وكان مسافراً إلى شقحب لأجل مرباع دوابه، وأخذ يكلمه، فقال لي الفقيه الترجمان عبد الجبار والذي كان يترجم لنا: إن السلطان تمر يوصي ابنه بك، فشكرته ودعوت له، ثم رأيت السفر مع ابنه غير واضح الوجهة، والسفر إلى صفد هو أقرب السواحل إلينا، فقلت لهُ هذا، فأجاب إليه وأوصى بي شخص كان متوجها إلى هناك كان عند حاجب صفد ابن الداويداري فودعتهُ وذهبت، واختلفت الطريق مع هذا القاصد، فذهبت عنه وذهب عني وسافرت مع جمع من أصحابي.(ابن خلدون، بدون سنة نشر ، ص٤٢٤).ويذكر ابن خلدون في محل آخر أن تيمورلنك أرسل إليه ثمن تلك البغلة وإن كان قد جاء إليه ناقصاً، فيقول ابن خلدون "فبعث إلي يقصد أحد السفراء الذين كان قد أرسلهم سلطان مصر إلى تيمورلنك لإبرام الصلح مع بعض أصحابه يقول لي إن الأمير تمر (تيمورلنك) قد بعث معي إليك ثمن البغلة التي ابتاع منك. وهي هذه فخذها، فإنه عزم علينا من خلاص ذمته من مالك هذا. فقلت: لا أقبله إلا بعد إذن من السلطان الذي بعثك إليه، وأما دون ذلك فلا ومضيت إلى صاحب الدولة فأخبرته الخبر، فقال: وما عليك ؟ فقلت إن ذلك لا يجعل بي أن أفعله دون اطلاعكم فأغضى عن ذلك، وبعثوا إلي بالمبلغ بعد مدة واعتذر الحامل عن نقصه بأنه أعطيته كذلك. وحمدت الله" (ابن خلدون، بدون سنة نشر ، ج١/ص٩٩-١٠٠؛ المصدر نفسه ، بدون سنة نشر ، ص١٢٥، المصدر نفسه، بدون سنة نشر ، ص٤٢٥). ويصف ابن خلدون ما تعرض لهُ أثناء عودته من ضياع متاعه وماله فيقول: وسافرت مع نفر من أصحابي، فاعترضتنا مجموعة من العشير، قاموا بقطع طريقنا ونهبوا ما معنا، فنجونا إلى قرية هنالك عرايا. وتواصلنا بعد يومين أو ثلاثة بالأهالي فخلفنا بعض الملبوس.(ابن خلدون، بدون سنة نشر ، ص٢٩٧؛ المصدر نفسه، بدون سنة نشر ، ج١/ص١٠٠؛ المصدر نفسه، بدون سنة نشر ، ص٢١٢٥؛ المصدر نفسه، بدون سنة نشر ، ص٤٢٥). وهنا يهتف ابن خلدون فرحاً بنجاته "وحمدت الله على الخلاص" ويذكر لنا انه كتب لسلطان المغرب مولاه السابق، حيث يصف بها هذه الحوادث وما دار بينه وبين تيمورلنك اذ يصف له الفاتح تيمولنك وعظم بأسه وواسع ملكه وروعة سلطانه. (محمد عبدالله عنان، ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م ، ص٨٠). لم ينجح ابن خلدون في مهمته مع أنه مكث عند الطاغية فترة خمسة وثلاثين يوماً.(حسن عبدالله بانبيله، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص٥٢).

المحور الثالث: نتائج الاجتماع وما تنطوي عليه من الرمزيات.

النتائج المتوقعة للاجتماع واهميتها

استخدم تيمورلنك اسلوب المضلل والمخادع مع القاضي ابن مفلح حيث وعده بالانسحاب من مدينة دمشق بعد تقديم سكانها (الطقزات) وهي هدايا حسب عادات المغول.(احمد عبد الكريم، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ، ص٣٤). فتحت مدينة دمشق ابوابها بعد هذا الاتفاق لكنها لم تنجح من فتك تيمورلنك وتنكيله.(ضياء الدين رجب، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م ، ص٢٢).حيث تراجع إلى ما كان عليه من غوائله ومصائبه فألبس كل واحد من هؤلاء الأعيان خلعه وأمكثه عنده في رفعة وعزة ثم قام بردهم منشرحي الصدور وفي نفسه شرور. (ابن عربشاه، ٢٠٠٨ ، ص١٤٢). وشرط لهم ولأهلهم الأمان شرط ان يرفعوا لهُ اموال السلطان وللأمراء من اثقال ومتعلقات واموال ودواب ومواشي وحواش المماليك ففعلوا ما طلب منهم ورفعوا إليه ما ظهر من ذلك وما بطن.(ابن عربشاه، ٢٠٠٨ ، ص١٤٢). كما أخذ تيمورلنك بخداع أهل دمشق حيث صالحهم على مبلغ قدره ألف ألف دينار وقاموا بفتح باب من ابوابها لهُ وأخذوا بجمع الاموال من الناس حسب قدر طبقاتهم خارجاً والاستيلاء على خيل الهاربين من جيش السلطان وسلاحهم وعندما حمل إليه ذلك فرض عليهم بعد ذلك مبلغ عشرة آلاف دينار اذ استخرجت تلك بأعظم مشقة ومن ثم قام بتفريق حارات المدينة على أعيان عسكره وأمرائه فعاثوا فيها فسادا واستخرج من اهل دمشق ما قدروا عليه بعد أن سلبوا وقتلوا النساء الذراري ومن ثم أمر بحرق البلد فأحرق عن آخره، اذ لم يبقى بها رسم لدار ولا خط يعرف.(القلقشندي، بدون سنة نشر ،ج٢/ ص١٩٢.١٩٣). وجمع القضاة والأعيان مقدار المبلغ الذي أراده تيمورلنك لكنه لم يرضى به وألقى القبض على هؤلاء وحبسهم حتى انضبطوا بجمع مبلغ مقداره عشرة ملايين دينار من الذهب ثم اصدر اوامر لقواته بحصار قلعة دمشق حتى خضعت بعد قتال شديد استمر حوالي تسعة وعشرين يوماً على رغم من قلة عدد المقاتلين فيها ورفض مرة اخرى تيمورلنك هذا المبلغ الذي تم جمعه من اوقاف المساجد والمعاهد والمدارس والربط والزوايا وكانت حجته اختلاف العملة وفسادها اذ قدر ذلك المبلغ بثلاث ملايين فقط كما قام بتصدير ممتلكات واموال الناصر فرج كما استولى على اموال وممتلكات كل شخص هرب من مدينة دمشق.(احمد عبد الكريم، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ، ص٣٦). فنزل بالناس في جمع هذا بلاء عظيم كذلك عوقب كثير منهم بالضرب وأشغل كل أحد بما هو عليه فغلت الأسعار ونقص وجود الأقوات وبلغ سعر المد من القمح أربعة أقداح إلى أربعين درهما من الفضة وتعطلت الجمعة والجماعة في دمشق كلها فلم تقم فيها جمعة سوى مرتين.(ابن أياس، ١٤٠٣ـ ١٩٨٣م ، ج١/ ص٦١٢). ودمرت مراكز البريد ونزل بالبلاد من الفتن والمحن فأختل بانقطاعه طريق بلاد الشام خللاً فاحشاً.(المقريزي، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م ، ج١/ ص٢٨٦)بعد أن قسم تيمورلنك أحياء مدينة دمشق على امرائه وأتباعهم وحواشيهم اطلقهم داخلها فعاثوا فيها فساداً ثم طلبوا لأنفسهم اموالا طائلة ولما عجز السكان عن تسديدها أنزل جنود تيمورلنك بهم أشد أنواع العقوبات من العصر والضرب والحرق وارتكاب الفاحشة حيث دخل بعض هؤلاء الأمراء مع اتباعهم إلى مدينة دمشق وسيوفهم مسلولة مشهورة فقاموا بالنهب والسبي قدر وسعهم واخيرا أشعلوا النار في المساجد والمنازل لاسيما (جامع بني امية) الذي تهدمت سقفه وحائطه وهلك أغلب سكان المدينة واخيرا غادر الأمير تيمورلنك مدينة دمشق في نهار السبت الثالث من شهر شعبان في سنة ٨٠٣هـ ـ ١٤٠١م مصطحبا معه عند عودته كل العمال والحرفين والمهرة وبذلك خسرت دمشق قدرتها الاقتصادية والصناعية لفترة طويلة.(احمد عبد الكريم، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ، ص٣٧)بعد سقوط المدينة حاصر تيمورلنك قلعة دمشق التي كان يحتمى بها بعض المقاتلين، حيث نصب عليها ٦٠ منجنيقاً واجبر من كان فيها على الاستسلام ثم حطم القلعة وطمس معالمها وضاق الحصار بأهل القلعة وتحطم بناؤها من كل جهة، فطلب أهلها الأمان. وكان بها مجموعة من خدام السلطان، فأمنهم السلطان تمر، وجاءوا عنده. وهدم القلعة وطمس معالمها، وصادر قناطير من الأموال استحوذ عليها بعد أن كسب جميع ما تركه صاحب مصر هنالك من الخيام والأموال والظهر ثم أطلق أيدي السلابة على بيوت أهل مدينة دمشق، فاستوعبوا أناسيها، وامتعتها وأشعلوا النار فيما بقي من سماط الأقمشة، فاتصلت النار بجدران الدور المبنية بالخشب، فلم تزل تشتعل الى أن ارتبطت بالجامع الأعظم، ووصلت الى سقفه، فذاب رصاصه، وتهدمت سقفه وحائطه، وكان هذا أمرا بلغ مبالغة من الشناعة والقبح.(ابن خلدون، بدون سنة نشر ، ص٤١٧؛ المصدر نفسه ، بدون سنة نشر ، ج٧/ ص٧٣٤؛ هاشم عثمان، ١٤١٤ـ ١٩٩٤م ، ص٣٧). وقال بعض العلماء والخطباء إنه لم ينج من يد تيمورلنك أحد من العلماء سوى ابن خلدون ورجل ثان وقد ذكر هذا ابن عرب شاه في كتابه عجائب المقدور. (التلمساني، ١٩٦٨، ج٢/ ص٥٢٣).

ونرى أن بعض المؤرخين ومنهم المؤرخ عربشاه قد وجه نقد لاذع بسبب عدم فعالية وجدوى وساطة المؤرخ ابن خلدون من منظور الضحية وليس تحليلاً لنية أبن خلدون. وهو يعكس كيف يمكن للحقيقة التاريخية أن ترى بزوايا متعارضة تماماً منظور المفاوض المنقذ ومنظور الضحية التي لم تنقذ كذلك صور ابن خلدون على أنه كمخدوع أو كمن قدم خدمة (كتابة تقرير عن المغرب) لقائد كان يخطط لغزوها لاحقاً هذه هي رواية المؤرخ ابن خلدون حول صلته بالفاتح التتري تيمورلنك وما وقع معه من مقابلات ومحادثات وقد كان يؤدي فيها دور السياسي القديم، لكن. مؤرخاً مصريا

كبيرا معاصر للحدث هو المقريزي يشرح هذه الحوادث تفصيلا ثان فيقول لنا الذي فاوض تيمورلنك على تسليم مدينة دمشق هو القاضي تقي الدين بن مفلح الحنبلي والذي تم أرساله من قبل الزعماء الى تيمورلنك إجابة لطلبه في عقد السلام والصلح بعد أن فشل الفاتح من اقتحام المدينة بالقوة وان ابن مفلح بذل كل جهوده ونفوذه لإقناع الزعماء من اجل التسليم وأنه هو الذي تدلى بعد هذا من السور مع جماعة من الأعيان والفقهاء وقادهم الى معسكر الفاتح تيمورلنك وعقد معه الصلح وحصل منه على الأمان، ثم قام بعد ذلك بتنفيذ جميع رغائبه بجمع المال والأسلاب. ولكن تيمورلنك نكث بعد ذلك عهده، وقام بالقبض على ابن مفلح وزملائه، وداهم واقتحم جنده المدينة ونهبوها وشعلوا النار فيها·(محمد عبدالله عنان، ١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٣م ، ص٨٤). اما المقريزي يرى لقاء ابن خلدون مع تيمورلنك لحظة تفاوض رسمي ضمن استراتيجية استسلام دمشق. ابن خلدون بصفته القضائية السابقة كان أحد ممثلي النخبة الشرعية في المدينة المحاصرة. الاجتماع لم يكن اجتماع بين عبقريين، بل بين غاز منتصر ونخبة منهزمة تحاول تخفيف الضرر. وقد نجح جزئيا في الحصول على وعود لكنها لم تمنع الكارثة التي حلت بالمدينة· (المقريزي، بدون سنة نشر ، ج٤/ ص٦٩٢. ٦٩٣؛ رضوان ، ٢٠٠٣م ، ص٨٧ ، فياض، بدون سنة نشر، ص١٠٤).اما رأي ابن حجر العسقلاني فأنه يرى ابن خلدون كثير المبالغة في مدح من يجالسه وخصوصاً الأكابر منهم حتى صنف لتيمورلنك عندما التقى به رسالة في السياسة كان فيها من الإطراء ما يشين قائله·(ابن حجر العسقلاني، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م ، ج٣/ ص٣٢٧ ؛ عبد الحليم عويس ، ١٩٩٦، ص٥٤.)ونرى نحن من خلال هذه المقابلة هنالك نتائج مختلطة منها نتائج شخصية لأبن خلدون حيث عامل تيمورلنك أبن خلدون معاملة خاصة يعمها الاحترام اذ استقبله استقبالا جميل وأجلسه إلى جنبه وقربه منه وتم تكريمه طيلة مدة إقامته بالمعسكر ونتيجة لهذه العلاقة خلص ابن خلدون نفسه من القتل والسبي فخرج من دمشق سالماً إلى القاهرة بعد انقضاء تلك الأحداث.وهنالك نتيجة جماعية لدمشق: اذ لم يحم الوعد مدينة دمشق من الخراب والدمار، مما جعل بعض من المؤرخين يتهمونه بالسذاجة والتواطؤ.نتيجة تاريخية وفكرية: ترك هذا اللقاء وثيقة تاريخية نادرة عن صدام الفكر مع القوة ، وأصبح نموذجاً للحوار المستحيل ما بين المثقف والطاغية...

قائمة المصادر والمراجع

• ابن اياس، محمد بن احمد بن اياس الحنفي (ت٩٣٠هـ)

١ـ بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة (١٤٠٣ـ ١٩٨٣م)

• ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف بن الأمير سيف الدين (ت٨٧٤هـ)

٢ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، طبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ٢٠٠٥م.

٣ـ المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق الدكتور محمد محمد أمين، الطبعة الاولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م)

• التلمساني، أحمد بن محمد المقري (ت١٠٤١هـ)

٤ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر ـ بيروت (١٩٦٨)

• ابن حجر العسقلاني، ابو الفضل شهاب الدين احمد بن علي بن محمد بن علي (ت٨٥٢هـ)

٥ـ الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، دار الجبل ـ بيروت (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)

• ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الاشبيلي (ت٨٠٨)

٦ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، تحقيق خليل شحادة/ سهيل زكار، دار الفكر.

٧ـ رحلة ابن خلدون، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، الطبعة الاولى، منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية (بيروت ـ لبنان).

٨ـ التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر.

٩ـ مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي، الطبعة السابعة، دار نهضة مصر للنشر.

• السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي (٩١١هـ)

١٠ـ تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد غسان نصوح، الطبعة الثانية، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ـ دولة قطر (١٤٣٤ـ ٢٠١٣م)

• ابن عربشاه، شهاب الدين ابو العباس احمد بن محمد الدمشقي (ت ٨٥٤هـ)

١١ـ عجائب المقدور في نوائب تيمور، تحقيق أ. د. سهيل زكار، الطبعة الاولى ٢٠٠٨

• القلقشندي, احمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١ هـ/ ١٣٢١م)

١٢ـ مآثر الأنافه في معالم الخلافة, تحقيق عبد الستار احمد فراج ,عالم الكتب.

• المقريزي، احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد الحسيني العبيدي (٨٤٥هـ)

١٣ـ السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٤ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق أيمن فؤاد سيد، الطبعة الاولى، مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م)

المرجع

• بدوي، عبدالرحمن

١٥ـ مؤلفات ابن خلدون، المجلس الاعلى للثقافة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية(٢٠٠٦).

• بانبيله، حسين عبدالله

١٦ـ ابن خلدون وتراثه التربوي، الطبعة الاولى، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م).

• الجابري ، الدكتور محمد عابد

١٧ـ فكر ابن خلدون العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي ، الطبعة الخامسة ، مركز دراسات الوحدة العربية ـ ١٩٩٢م.

• الخضيري ، الدكتورة زينب

١٨ـ فلسفة التاريخ عند ابن خلدون ، دار الثقافة والنشر والتوزيع ، مصر (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م).

• الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (ت ١٣٩٦هـ)

١٩ـ الاعلام، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين (بيروت ـ لبنان ١٩٨٠)

• السيد، رضوان

٢٠ـ ابن خلدون في مرايا المؤرخين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت ـ ٢٠٠٣م)

• سركيس، يوسف بن إليان بن موسى (ت١٣٥١هـ)

٢١ـ معجم المطبوعات العربية، الناشر مكتبة اية الله المرعشي النجفي ـ قم المقدسة ١٤١٠.

• سليمان، دكتور احمد عبد الكريم

٢٢ـ تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة، الطبعة الاولى، دار النهضة العربية للطبع والتوزيع (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م)

• شهاب الدين، ضياء الدين رجب

٢٣ـ الدر المصون بتهذيب مقدمة ابن خلدون، الطبعة الاولى، دار الفتح للطباعة والنشر(١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م)

• الطهطاوي، الشيخ احمد رافع (ت ١٣٥٥هـ)

٢٤ـ التنبيه والايقاظ لما في ذيول تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي (بيروت ـ لبنان)

• العاملي، الشيخ علي الكوراني

٢٥ـ كيف رد الشيعة غزو المغول، الطبعة الاولى، مركز العلامة الحلي الثقافي، ١٤٢٦ ـ ٢٠٠٦م.

• العبدة ، دكتور محمد

٢٦ـ نصوص مختارة من مقدمة ابن خلدون، الطبعة الاولى ، مركز الرسالة للدراسات والبحوث الانسانية ، مصر ـ القاهرة (٢٠٠٩م).

• عبد الحكيم ، منصور

٢٧ـ إمبراطور على صهوة جواد ، دار الكتاب العربي ، دمشق ـ القاهرة .

• عثمان، هاشم

٢٨ـ مشاهد ومزارات آل البيت (ع) في الشام، الطبعة الاولى، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان (١٤١٤ـ ١٩٩٤م)

• العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي (ت١١١١هـ)

٢٩ـ سمط النجوم العوالي في أبناء الاوائل والتوالي، تحقيق عادل احمد عبد، علي محمد معوض، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية (بيروت ـ لبنان).

• العصيمي ، د. عبدالمحسن بن أحمد

٣٠ـ مختصر مقدمة ابن خلدون ، الطبعة الاولى ، قرطبة للنشر والتوزيع ، الرياض (١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م).

• عاصي، دكتور حسين

.٣١ـ ابن اياس مؤرخ الفتح العثماني لمصر، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م)

• عويس ، عبد الحليم

٣٢ـ التأصيل الاسلامي لنظريات ابن خلدون ، الطبعة الأولى ، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بدولة قطر (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م).

• العلبى ، أكرم حسن

٣٣ـ تيمورلنك وحكايته مع دمشق، الطبعة الرابعة ، دار المأمون للتراث ، بيروت (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م)

• عنان المحامي، محمد عبدالله

٣٤ـ ابن خلدون حياته وتراثه الفكري، الطبعة الاولى، دار الكتب المصرية بالقاهرة (١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٣م)

• فياض ، محمد محمد

٣٥ـ تيمورلنك ، دار المعارف بمصر.

• كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني (ت١٤٠٨هـ)

٣٦ـ معجم المؤلفين، دار احياء التراث العربي (بيروت ـ لبنان)

• مفتاح ، الدكتور الجيلاني بن التوهامي

٣٧ـ فلسفة الانسان عند ابن خلدون ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية . بيروت ـ لبنان (٢٠١١).

• وافي، الدكتور علي عبد الواحد

.٣٨ـ عبقريات ابن خلدون، ط١، عكاظ للنشر والتوزيع(١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م).

المصادر الاجنبية

• إرون ، روبرت

٣٩ـ ابن خلدون سيرة فكرية ، ترجمة عبدالله مجير العمري ، الطبعة الأولى ،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت (٢٠٢٢م).

• فيشل ، والتر ج

٤٠ـ لقاء ابن خلدون لتيمورلنك ، ترجمة: محمد توفيق ، منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت.

الرسائل والأطاريح الجامعية

• مصلح ، حفظ الله ناصر عبدالله

٤١ـ تيمورلنك وشخصيته السياسية والعسكرية ، أطروحة الدكتوراه في قسم التاريخ ، اشراف الدكتور ابراهيم محمود زعرور، دمشق (١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م).